مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 03 (2022م) • ص ص 165 – 176
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

جماليّة القصّة في القرآن الكريم
قصّة أصحاب الفيل أنموذجا

The Story's Aesthetic in the Holy Quran,
The Story of the Companions of the Elephant as a Model

د/ أحمد بزيو *
جامعة باتنة 1 (الجزائر)
ahmed.bezziou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/21 | تاريخ القبول: 2022/10/31 | تاريخ النشر: 2022/11/12

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يحتوي القرآن الكريم على قصص ذات دروس وعبر، من بينها قصة أصحاب الفيل الذين أعلنوا معاداة دين الله وتكالبوا على محاربته، وتفننوا في ذلك باستعمال وسيلة حربية، وهي الفيل، إلا أنّ الله عز وجل كان لهم بالمرصاد. تسعى هذه الدّراسة إلى كشف جماليّة قصّة أصحاب الفيل (سورة الفيل)، وذلك من خلال تتبع جمالية المفردة صوتيا وجمالية التركيب وجمالية الصورة الأدبية.

الكلمات المفتاحية: جمالية؛ جمالية المفردة؛ جمالية التركيب؛ جمالية الصورة.

Abstract : The Noble Qur'an contains stories with lessons, including the story of the Companions of the Elephant who declared hostility to God's religion and fought it, and mastered that using a means of war which is the elephant, but God Almighty was on the lookout for them. This study seeks to reveal the aesthetics of the story of the Companions of the Elephant (Surat Al-Fil), by tracing the phonetic aesthetics of the vocabulary, in addition to the aesthetics of syntax, and the literary image.

Keywords: Aesthetic; Aesthetic vocabulary; Aesthetics of syntax; image aesthetics.

1. مقدمة

إنّ مصطلح الجمالية أو الجماليات من أكثر مصطلحات النقد الأدبي تحليلا ونقدًا، وهذا ما أضفى عليها مفهومية واسعة في أغلب المدارس النقدية والأدبية على حدّ سواء. ونحن في هذه الدارسة نحاول أن نقف منه تطبيقا على قصة قرآنية من خلال خطوات سطرت لهذا الغرض.

ما هي الجمالية، من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية؟

2. الجماليّة من الناحية اللغوية

ورد في المعجم العربي"جمل: الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمُّع وعِظم الخَلْق والآخر حُسْنٌ."[1]، والأصل الثاني- هو ما يعني الموضوع- "الجمال، وهو ضدّ القُبْح. ورجل جميل وجمال. قال

* المؤلف المراسل.

ابن قتيبة: أصله من الجميل وهو وَدَك الشَّحم المُذَاب، يراد أنّ ماءَ السِّمَنِ يجري في وجهه. ويقال جمالَكَ أن تفعلَ كذا، أي اُجْمُلْ ولا تفعلْه. قال أبو ذؤيب:

جَمَالَـــكَ أَيُّهَـــا القَلْـــبُ الجَـــرِيحُ سَـــتَلْقَى مَـــنْ تُحِـــبُّ فَتَسْـــتَرِيحُ

وقالت امرأة لابنتها: تَجَمَّلِي وَتَعَفَّفِي، أي كلي الجميل –وهو الذي ذكرناه من الشَّحم المُذاب– واشربي العُفَافَةَ، وهي البقيّة من اللّبن."[2]

والجمالية من الناحية الاصطلاحية: ارتبطت الجمالية بالفلسفة وذلك منذ العصر اليوناني إلى العصر الحديث، ومن الفلاسفة الذين تناولوها "أفلاطون" و"أرسطو" وغيرهما، وفي العصر الحديث امتدت من الفلسفة المثالية لدى "كانط" و"هيجل" إلى الفلسفة الوجودية لدى كلّ من "هايدجر" و"سارتر" وبينهما إسهامات فلسفية تباينت اتّجاهاتها من المثالية الميتافيزيقية إلى الواقعية المادية، وبالإضافة إلى اتّجاهات أخرى تمثّلت في الاتّجاه الحدسيّ، والاتّجاه الوجودي، والاتّجاه الرمزي.[3]

وسنكتفي بإيراد بعض التعريفات المتمحورة حول مصطلح الجمالية، وبما أن الحكم الجمالي على أي عمل فني يكون في إحدى الحالتين: ففي الحالة الأولى:يحدثنا الناقد عن "خصائص الشيء نفسه، فيتبين فيها جمالا أو قبحًا، فهو عندئذ ناقد موضوعي أو بعبارة أخرى هو يحدثنا عن موضوعية الجمال أو القبح في الشيء الذي عرض له، وإما أن يحدثنا عن إحساسه الخاص إزاء هذا العمل الفني. وبعبارة أخرى فالحكم الجمالي قد ينصب على جمال في الشيء ذاته فيكون موضوعيا، وقد ينصب على الشعور الممتد فيعد ذاتيا." [4]

3. مسألة الجمال في القرآن:

تعدّ "مسألة الجمال وإدراكه قضيّة فطريّة، فطر الله الخلق عليها، وخلق صفة الجمال وصفة القبح، غير أن الفكر الإنساني تعرّض لهذه القضيّة بالدّراسة، وكانت الفلسفة اليونانية قد عُنيت بدراسة الجمال أو فنّ الجمال، وكان لهذه الدراسة اتجاهان: مثالي ومادي، ثم جاء المسلمون، وقدّموا أفكارًا جديدة في المضمار"[5] وممّن اهتمّ بمفاهيم الجمالية من المسلمين الجاحظ الذي عالج الجمال من الناحية الموضوعية ومن الناحية المعنوية، فقد ربط مفهوم الجميل بكل ما هو نافع، حيث ربط" الجمال – أو الحسن على حدّ تعبيره-بالمنفعة خلافا للمدرسة الغربية المعاصرة، والجميل عنده موضوعي، ينبع جماله من شكله، وتركيب أعضائه وجزئياته."[6] كما أنّه تطرق إلى الجمال المعنوي الذي يتملاه العقل أو القلب، فهو "الجمال المعنوي الأخلاقي الذي لا يبتعد عن الشريعة الإسلامية، كالوفاء والعفّة والصّدق والكرم والشّجاعة، إلاّ أنّه يريد شدّة القبح في حالات معينة."[7] غير أنأبا حيان التوحيدي خالفه في هذا الأمر، وجعل الجمال المعنوي هو الأساس، وقد ربطه بالخير وجعل الفعل معيارًا في تذوقه واستيعابه.[8]

و"الجماليّة القرآنيّة هي علم الجمال القرآني التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه عبر الموضوعات القرآنية المتعددة، وبتعبير أدقّ؛ فإنّ الجماليّة أبرز الظواهر القرآنية بسبب ما استعملته من المواد العربية الأولى نحو: المفردة، والتّركيب، والصّورة الأدبيّة".[9]

والجمال القرآني متكامل من حيث الانسجام شكلاً ومضمونًا، فهو مسخر في نهاية الأمر لرفع مستوى الوعي الجمالي، تحقيقًا لهداية البشر، فكل قارئ للقرآن يدرك تمام الإدراك بأنّ الشكل يحتوي المضمون ويتحدّ به، لهذا نستطيع القول بأن الجميل في القرآن هو كلّ ما ترتاح إليه النفس بعد أن تمرّ بالحواس، وفق ما يقتضي الخير والشر من مظاهر وعلاقات إنسانية محدثة بذلك لذة جمالية معنوية.[10]

وقد لاحظ السيد قطب "أنّ التّعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصّور والمشاهد. كما أنّه لاحظ أنّ التّعبير القرآني يجعل الجمال الفنّي أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدّينيّة، بلغة الجمال الفنيّة، والفنّ والدّين صنوان في أعماق النّفس وقرارة الحسّ، وإدراك الجمال الفنّي دليل استعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفنّ إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال."[11]

4. مقاصد القصص القرآني:

يحتلّ القصص في القرآن الكريم حيّزًا كبيرًا، وتمتزج موضوعاته بموضوع القرآن، لأن القرآن كله يمثّل كلاً واحدًا، من حيث الموضوعات والأسلوب والمقاصد، والغاية من وراء القصة هي أن تتناول الموضوع القرآني تناولا فنيًا، ولا ننسى أن القرآن الكريم كتاب دعوة ودين قبل أيّ شيء آخر، والقصة وسيلة من أهمّ وسائل القرآن لتحقيق مبادئ الدّعوة والتمكين له.

والقصة تأتي متفقة مع موضوعات السورة، فهي تتفق مع مقاصدها، وتدعم موضوعاتها وتؤكدها، كما أنها تمثّل جزءًا من النسيج القوي للسورة القرآنية.

وهنا نسجل الغايات من القرآن الكريم: -إثبات صدق الوحي المنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وإثبات وحدانية الله عزّ وجلّ-، وإثبات إعجاز القرآن الكريم ليكون دليلاً صادقًا على صدق الرّسول – صلى الله عليه وسلّم-. وهناك غايات فرعية، من بينها: إثبات قدرة الله –عزّ وجلّ- وأن الدّين من عنده، وأن الأنبياء جاءوا بالإسلام، ومنها بيان عاقبة الإيمان والصّلاح وعاقبة الكفر والفساد.[12]

5. جماليات القصة في القرآن الكريم (قصّة أصحاب الفيل):

إنّ سورة الفيل تشير إلى "حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربيّة قبل البعثة، عظيم الدّلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، وإقرار الهدى والحق والخير فيها."[13] وفي أهلها إلى يوم الدين.

ولا عجب أنّ القرآن جرى في كلماته وتراكيبه على أسلوب العرب الأقحاح، وأنماط خطابهم، ما عدا بعض المفردات والتركيب التي أصبغ علها الصبغة الإسلامية.

فالقرآن لغته عربيّة، بيانه معجز، تحدّى بلغاء العرب فأفحمهم بلسانه الفذّ وبيانه الفريد، كما أفحم غير العرب.

وبيان القرآن الكريم يعتمد على اختيار مفرداته وانتقائها لمراعاة النسق المعجز في الجملة أو الصورة القرآنية، من خلال عقد جمالي أبرم لينطلق من وظيفة الكلمة مفردة إلى وظيفة الجملة ثمّ تآلف الجمل القرآنية في مشاهد ذات بلاغة رائعة.[14]

6. جمالية المفردة في سورة الفيل:

تدلّ المفردة القرآنية على جماليات القرآن في الوضع اللغوي الأصولي بما أنّها تعبير عن روائها وجمالها وحسنها، ويمكن أن ننظر إلى أهمية المفردة من جوانب ثلاثة:

أ. تعبير عن مضمون جمالي مادي أو معنوي في وضعها اللغوي الأصيل،

ب. دلالة على تلاحم المفردة في نسق بياني معجز متخذة لها إطارًا جماليًّا،

جـ. أداة تصوير فنّي من الجمال اللفظي والمعنوي في صورة أو مشهد حيث تأخذ المفردة بعدًا جماليًّا إضافيًّا.[15]

ويقرر الذوق الأدبي الجمالي بفطرته وقواعده انتشار المفردات القرآنية، ويقومها جماليّا من خلال جماليات داعمة، منها:

1.6. جماليات وضعيّة:

والمقصود منها أن اللفظة تحمل معنى جماليًّا، لهذا قد اختارها القرآن الكريم للتّعبير عن المفاهيم والقيم الإسلاميّة، منها مفردات ذات دلالات معنوية جمالية في آفاقها الإلهية والكونية والإنسانية.

- كالله- النّور- الخير- الحق - الحكمة- اليقين- الروح- السلام- المحبة- الرحمة – الصلاح وكثير من هذه الصفات ذات جماليات معنوية تدرك بالعقل والوجدان والعاطفة والإرادة.
- مفردات تنصّ على الجمالية صراحة بكل ما تستوعبه من جمال: الجمال – الحسن – النضارة – السنا – حدائق ذات بهجة – بديع السموات والأرض – زهرة الحياة الدّنيا.. وهذه كلّها ألفاظ تزدان بها اللغة العربية وقد استوعبها القرآن الكريم لتلبي موضوعاته الفكرية والجمالية في أسلوب بياني معجز.
- مفردات ذات صلة وثيقة بالجمالية ترتبط بالتعبير القرآني كعامل نفسي، وكعامل لفظي تعبيري: كمفردة: الحبّ – الحسن – الشكر- شهوات النفس – تحية وسلامًا – أشرقت الأرض بنور ربها، فهذه المفردات أجمل ما ترتبط بالجمال القرآني حيث تضفي عليه حسنًا وألقًا.
- جمالية محسّة رائقة الحسن والجمال، يتقراها اللمس وتمتلأها العين، وتأنس بها الآذان، كالزخرف

– العبقري الحسان – العسل المصفى – الجوار المنشآت – كاس من معين..كلها جماليات النعيم الأخروي. وهناك أفعال وأسماء مضعفة العين: عسعس – وسوس – الوسواس مفردات تدرك بالحواس فتؤثر في النفوس بقدرتها التعبيرية.

• مفردات فنية توحي بالخشية والهلع والفزع، تنبض بالجلال والعظمة والقوة: تلظى – ضبحًا – صعق – اللهب – لوّاحة – يحموم – وسائر الألفاظ التي تصف مشاهد يوم القيامة. ومنها اشتقاقاتها مثل: لاهية قلوبهم – القارعة – مقنعي رؤوسهم . وسائر الألفاظ التي تصور هول الآخرة.

قد يستقل لفظ واحد: -لا عبارة كاملة – يرسم صورة شاخصة وهذه خطوة أخرى تسهم في تناسق التصوير، فيزيد من قيمتها أنّ لفظًا مفردًا هو الذي يرسم الصورة، تارة يلقي بجرسه في الأذن، وأخرى يلقي بظلّه في الخيال، وتارة أخرى بهما معًا أي بالجرس والظل.

تسمع كلمة "يترقب"﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة القصص:18] فكلمة يترقب ترسم هيئة الحذر الملتفت، رغم أنّه في المدينة مكان الأمن والأمان والاطمئنان، فهذه العبارة تبرز قيمة اللفظ الذي يصور الهلع والخوف في مكان خاص بالأمان.

2.6. مفردات موظفة وظيفة معنوية:

وهذا من خلال وجودها في الجملة القرآنية ذات مفردات متّسقة بعضها ببعض للتعبير عن أدقّ المعاني وذلك باختيار الألفاظ الدقيقة.

مثلا كلمة "أَهْل" في الآية الآتية:﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [سورة: ص 64] قد استخدمت كلمة أهل وهي أولى من كلمة أصحاب بهذا المكان، لأنها تدل على الإقامة الدائمة في النار والسكنى فيها.

3.6-مفردات موظفة بألوان جديدة من الجمالية:

تكتسي المفردة غالبًا وظيفتين، إحداهما من حقيقتها الوضعية، وثانيهما من دلالتها الجديدة المقصودة.[16]

وباعتماد نظرة عبد القاهر الجرجاني إلى مفهوم السهولة في تأليف" باعتبارها معطى جوهريًّا من معطيات التأليف اللغوي، ليس من الجناب الذي يخص المفردة فحسب، بل ذلك الذي يعمّ الحدث اللساني ككلّ."[17] لأنّ الحدث اللساني الذي يمتاز بأصوات منتظمة متعاقبة أي أنّ أصواته متلاحقة، فإذا ما تأملنا كلمات سورة "الفيل" نستشف ركائز هامة من المكونات الصوتية ذات القيم المتعددة كالانتظام والتعاقب والتقطيع والتجدد.

"تصنّف الأصوات الصّامتة – بحسب وضع الوترين الصوتيين في جهاز النّطق – إلى مجهورة ومهموسة. فإذا ما تذبذب هذان الوتران عند النّطق بصوت ما سمي هذا الصّوت مجهورًا (Voiced)، وفي نطقه ينحبس جري النّفس، وإن لم يفعلا كان الصّوت مهموسًا (Voiceless)، وفي نطقه يجري النّفس بالحرف، والأصوات المجهورة في العربيّة خمسة عشر، هي الباء والجيم والدّال والذّال والرّاء والزّاي

والظّاء والعين والغين واللام والميم والنّون، يعد منها الواو في نحو (ولد وحوض) والياء في نحو(يترك وبيت)، وما عدا ذلك فأصوات مهموسة وعددها اثنا عشر."[18]

ركّزت السورة من بدايتها على الأصوات الصامتة بنوعيها، فكانت نسبة ورود حرف اللام من بداية السورة إلى نهايتها، وهذا لاعتماده كفاصلة، حيث ورد بعضها بنسبب متفاوتة، لكن ما يلفت الانتباه إلى غلبة الحرف المجهور في جل السورة الكريمة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾ [الفيل:**01**]

المجهور: ء(2) / ل(3)/ م(1)/ ر(2)/ ي(2)/ ع(1)/ ب(3)؛ عددالحروف المجهورة، 13.

المهموس: ت(1)/ ك(2)/ ف(3)/ ص(1)/ح(1)؛ عدد الحروف المهموسة،08.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴾ [الفيل:**02**]

المجهور: ء(1)/ ل (4)/ م(2)/ ي (4)/ ج (1)/ ع (1)/ د (1)/ ض (1)؛ عدد الحروف المجهورة 15.

المهموس: ك (1)/ هـ (1)/ ف(1)/ ت(1)؛ عددها 04 حروف.

قال تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل:**03**]

المجهور: و(1)/ أ(2)/ ر(2)/ ل(3)/ع (1)/ ي(3)/ ط(1)/ ب(2)/م(1)؛ عدد المجهورة 16.

المهموس: س (1)/ هـ (1)؛ عددها حرفان.

قال تعالى: ﴿ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴾ [الفيل:**04**]

المجهور: ر(2)/ م (3) / ي(2)/ ب(1)/ ج (2)/ ل(1)/ن(1)، عددها 12.

المهموس:ت(2)/ هـ(1)/ ح(1)/ س(1)؛ عددها 05.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۢ ﴾ [الفيل:**05**]

المجهور: ج(1)/ ع (2) / ل(2)/ م(2)/ أ(1)/ و(1)؛ عددها 09.

المهموس: ف(2)/ هـ(1)/ ك(2)/ ص(1)؛ عددها 06.

فالعدد الإجمالي في سورة الفيل للحروف المجهورة (65) خمسة وستون حرفا مجهورا. والعدد الإجمالي للحروف المهموسة فيها (25) خمسة وعشرون حرفا مهموسا. وهذا ما أراده أن ينقله الله عز وجل كتعبير عن شدة الفزع والهول الذي لقيه جيش إبرهة ظانًا منه أن الحيوان (الفيل) الذي استعمله في حملته سيجعله من المنتصرين.

لأن الحيوانات – غير الفيل – قد استمعلت في الحروب منذ القدم، وكان لها أثر كبير في المعارك، ومن بينها "كانت فيلة الحرب من أكثر الأسلحة فعالية في ساحة المعركة، حتى أنها فاقت العربات والمنجنيق، ووجدت على جانب أو جانبي الجيوش المتحاربة في العصر الهيللينستي، كما شاكرت في أكثر من نصف كبرى معارك ذلك العصر"[19] وقد ذكره القرآن في سورة واحدة لا غير.

فالحيوان الذي استعمل في حملته (الفيل) يدل دلالة قاطعة على الوسيلة الحربية التي كانت شائعة بين

الأمم، وقد أضيف إليها مفردة أصحاب، فالمدّ فيها "يختلف عن المدّ في (الفيل) كون الأوّل يمثله صوت الألف، وكأنّه مناداة وطلب استغاثة ومعونة، ولو قيل (أهل) لما كان كذلك، فالإنسان يستطيع أن يختار أصحابه دون أهله وأقاربه، وهنا المصيبة كبيرة لأنّ الصّاحب الذي اختير لم ينفع شيئًا، أمّا المدّ الثّاني المتمثل بصوت الياء في (الفيل) فيصور بحركته الطّويلة حركة الفيل، وانتهاؤه بصامت يمثّل توقّف الفيل عن الحركة والمشاركة في المعركة."[20]

يُظهر حرف الياء في كل من(كيد)، و(في)، و(تضليل) إعجازًا من جانب شعوري، في الأولى متوسطة تعبر عن قلة زمن الكيد، أمّا فيما تبقى، فالمدّ طويل تعبر عن طول زمن التضليل وامتداده، بدلالة الظرفية والإغراق وموسيقى الفاصلة، وهذا مقصود في الآية الكريمة دون استعمال مفردة أخرى.[21]

7. جمالية التركيب في سورة الفيل:

جاء تركيب السورة الكريم مبنيا على الاستفهام، ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾ [الفيل:01] هذا استفهام تقريري يفيد التعجيب وهو" كثيرا ما يكون على نفي المقرّر بإثباته للثّقة بأنّ المقرّر لا يسعه إلا إثبات النفي."[22] والجملة (ألم تر) من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب ابتدائية، ومعناها هنا (ألم تعمل).

و(كيف) اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، تبيّن الحالة التي آل إليها أصحاب الفيل.

والجملة بعد اسم الاستفهام(فعل ربّك بأصحاب الفيل) التي تتكون من فعل ماضٍ، وربّ فاعل، وهو مضاف، والكاف في محل جر مضاف إليه، والجملة الفعلية سدّتْ مسدَّ مفعولي(تر) الذي عُلّق عن العمل بالاستفهام. وما تبقى من الآية الكريمة حرف جر واسم مجرور وهو مضاف والفيل مضاف إليه.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴾ [الفيل:02] انتقل الآية الكريمة إلى الاستفهام (أ) المبني على الفتح، و(لم) حرف نفي وجزم وقلب، والفعل (يجعل) فعل مضارع مجزوم، والفاعل ضمير مستتر جوازًا تقديره (هو)، والجلمة لا محلّ لها من الإعراب استئنافية. تكمل ما أشارت إليه سابقًا. و(كيدهم) مفعول به، و(هم) مضاف إليه، و(في) حرف جر، و(تضليل) اسم مجرور بـ(في)، والجار والمجرور متعلق بالفعل (يجعل).

قال تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل:03] الجملة الفعلية من الفعل والفاعل معطوفة على جملة (يجعل) لا محل لها من الإعراب. و(طيرًا) مفعول به منصوب، و(أبابيل) صفة أولى لـ(طيرًا) منصوبة.

قال تعالى: ﴿ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴾ [الفيل:04]، الجملة (ترميهم) جملة فعلية في محلّ نصب صفة ثانية لـ (طيرًا)، و(هم) ضمير متصل في محل نصب مفعول به.وما تقبى من الآية الكريمة عبارة عن جار ومجرور.

ومعنى الآيتين السّابقتين يدور حول شدّة العذاب" والعرب إذا وصفت المكروه بسجّيلٍ كأنّها تعمي به

الشدّة ولا يوصف به غير المكروه"[23]؛ لأنّ سجّيل "علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أنّ سجينا علم لديوان أعمالهم، كأنّه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال لأنّ العذاب موصوف بذلك." [24]

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل:05] يعرب الفاء بحرف عطف، والجملة (جعل) من الفعل والفاعل معطوفة على جملة (أرسل) التي لا محلّ لها من الإعراب، والضمير (هم) في محلّ نصب مفعول به. و(الكاف) حرف تشبيه، و(عصف) اسم مجرور، والجار والمجرور متعلق بالفعل (جعل)، و(مأكول) صفة مجرورة.

8. جمالية الصورة في سورة الفيل:

لقد اهتمّ النّقّاد العرب القدامى بموضوع الصورة، وعلى رأس هؤلاء الجاحظ الذي عدّ الشّعر ضربا من التّصوير، وهذا يتوافق مع نظرته لقضية اللفظ والمعنى، فالمعاني حسب رأيه مطروحة في الطّريق، والأهمية للفظ بما يحمل من أسلوب وبلاغة.

وأتى بعده الجرجاني الذي خطا خطوات مهمة في تأصيل مفهوم الصورة، بأن سبيل الكلام التّصوير والبلاغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، وهكذا تكون الصورة في صياغة المعنى بأسلوب جميل.

وقد اتخذت الصورة في النقد الحديث مفهوما واسعا غير محدد، فقد عدت امتدادًا للبلاغة العربية القديمة، ومنهم من عدها بوصفها صورة حسية بما تحمله هذه الكلمة من معنى التجسيد، بتوظيفها للون والصّوت والحركة، وهي بذلك أنواع صورة بصرية سمعية شمية ذوقية حركية. [25]

وقد عرفها سيسل دي لويس"بأنها رسم قوامه الكلمات، إن الطابع الأعمّ للصورة هو كونها مرئية، وكثيرًا من الصور التي تبدو غير حسية، لها مع ذلك في الحقيقة ترابط مرئي باهت ملتصق بها، ولكن من الواضح أن الصورة يمكن أن تستقي من الحواس الأخرى أكثر من استقائها من النظر."[26]

والتّصوير في القرآن الكريم منهج كامل متكامل وطريقة متبعة، ممّا يصبح ظاهرة أدبية لها تميّزها وتفرّدها الخاص بها، فيحوّل كلّ الألفاظ والتّراكيب إلى صور ذات حياة عامرة، وذات حركية دائمة تسيطر على مجالات عديدة، فإننا ندرك الصورة الحسية المتواكبة بكثرة في مناح مختلفة، إذ أنا تأتي في مجال الإدراك العقلي والذّهني المجرّد، كما تأتي كذلك، لتجسم الحالة الوجدانية، وتصور المشاعر الإنسانية النبيلة، وتشخص الجمادات كأناس يحبون ويعقلون ويحيون وهذا يمنح الصورة الأثر النفسي كما يمنح للمعنى دلالات مصاحبة للصورة. [27]

تثمل الصورة التي رسمها القرآن الكريم لأصحاب الفيل في الحبشة الذين جاءوا مكة غازين مضمرين هدم الكعبة انتقامًا من العرب، بقيادة أبرهة الحبشي الذي بنى كنسية عظيمة بصنعاء دعاها القليس وأراد أن يصرف حجّ العرب إليها دون الكعبة، وحجة الحرب على العرب كانت ما أحدثه الرجل الكناني في كنسية الحبشي فغضب أبرهة وأزمع غزو مكة، فنزل بها ليلا، وطلب من قريش عبد المطلب جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحتموا بجبال، فلما أصبح هيّأ أبرهة جيشه لدخول مكة وكان راكبًا فيله وجيشه معه، لكن المفاجأة الكبرى التي اعترضه أن الله عزّ وجل حمى بيته، وعبد المطلب عبر عن هذا بقوله:(للبيت ربّ يحميه)، فأرسل عليهم طيرًا ترميهم بحجارة لا تصيب أحدًا إلا هلك، وهي طير من جند الله عزّ وجلّ، فأهلك الله أبرهة وجيشه، وكفى الله أهل مكة شرّ عدوهم.

فهذه الصورة تذكر قريش بما ظهر من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله، وتثبه بأن الله يدفع عنه كيد المشركين، وأن القرآن الكريم لم يكرر ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين:

- إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.
- أنْ لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله.[28]

9. خاتمة

تناول المقال الحديث عن قصة أصحاب الفيل، من خلال السورة الكريمة التي بينت حقيقة الإنسان وضعفه، لأنه أعلن تمرده على دين الله، وأن هذه السورة تبين جليا أن سيدنا إبراهيم هو من دعا الله لكي يحميها من كيد الظالمين، في كل زمان ومكان، وهو توجه عقب بناء البيت، إذ قال:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:35].

ويمكن تضمين الخاتمة بأهمّ النتائج والتّوصيات:

- الإقرار بقدرة الله عزّ وجلّ وعظمته في كلّ أمر.
- عاقبة الاعتداء على حرمات الله، وسوء المنقلب لمن خالف أمره.
- تعرض المفسدين في الأرض لعقاب شديد.

من التوصيات:

- على الباحثين أن يضيفوا الجديد في ميدان الدراسات القرآنية.
- الاستفادة من كل الدراسات الحديثة التي تخدم القصص القرآني.

10- قائمة المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، *تفسير التحرير والتنوير*، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن فارس، (1979)، *معجم مقاييس اللغة*، بيروت، دار الفكر للطباعة.
- أبو الحسن، منال، (2015)، *الصّوتيات، علم وفن، تدريب وممارسة*، القاهرة، دار النشر للجامعات.
- أحمد عبد الحليم، رنا، (2015)، *جماليات المفارقة في القصص القرآني*، عمان، الأردن، وزارة الثقافة.
- إسماعيل، عز الدين، (1974)، *الأسس الجمالية في النقد العربي*، عرض وتفسير ومقارنة، القاهرة، دار الفكر العربي.
- بن عمر، كمال ، (2016)، *الجمالية وأبعادها في الأدب واللغة*، مجلة علوم اللغة وآدابها، جامعة الوادي، ع9.
- بن عيسى، عبد الحليم، (2006)، *البنية التركيبية للحدث اللساني*، وهران، منشورات دار الأديب.
- حمدان، نذير، (1991)، *الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم*، جدة، السعودية، دار المنارة.
- حمزة جواد، حسن، (2015)، *فيلة الحرب في العصر الهيللينستي، الجيش السلوقي أنموذجا*، مجلة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، كربلاء، العراق، ع17.
- دي لويس، سيسل ، (1982)، *الصورة الشعرية*، العراق ، دار الرشيد للنشر.
- الزجاج، (1988)، *معاني القرآن وإعرابه*، بيروت، عالم الكتب.
- الزمخشري، (2009)، *تفسير الكشّاف*، دار المعرفة، بيروت، ط3.
- سيد قطب، (2003) *في ظلال القرآن*، دار الشروق، القاهرة، ط32.
- عبد العال، محمد قطب، (1990)، *من جماليات التصوير في القرآن الكريم*، (سلسلة: دعوة الحق)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
- عبد الله مالو، رافع وعدنان، أحمد عزة، (د ت)، *سورة الفيل – دراسة صوتية*- مجلة كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، مج7، ع13.
- عبده دبور، محمد عبد الله، (1996)، *أسس بناء القصة في القرآن الكريم*، دراسة أدبية ونقدية، (دكتوراه)، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

- فرحان، بان حميد، (2012)، *جمالية القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف أنموذجا*، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع101.
- قطب، سيد، (2013)، *التصوير الفني في القرآن*، القاهرة، دار الشروق.
- يا سوف، أحمد، (1999)، *جمالية المفردة القرآنية*، دمشق، دار المكتبي.

11- الهوامش والإحالات:

(1)- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، تح: عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة، بيروت، ط1، 1979، مادة [جمل].

(2)- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1،المصدر نفسه، مادة [جمل].

(3)- كمال بن عمر، الجمالية وأبعادها في الأدب واللغة، مجلة علوم اللغة وآدابها، جامعة الوادي، ع9، جويلية 2016، ص70.

(4)- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1974، ص68.

(5)- أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1999، ص 13.

(6)- أحمد ياسوف، المرجع نفسه، ص 14.

(7)- أحمد ياسوف، المرجع نفسه، ص 14.

(8)- ينظر: أحمد ياسوف، المرجع نفسه، ص 15.

(9)- بان حميد فرحان، جمالية القصة القرآنية، قصة سيدنا يوسف أنموذجا، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع101، 2012، 335.

(10)- ينظر: أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1999، ص 18-19.

(11)- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط20، 2013، ص144.

(12)- ينظر: محمد عبد الله عبده دبور، أسس بناء القصة في القرآن الكريم، دراسة أدبية ونقدية، (دكتوراه)، إشراف: فتحي محمد أبو عيسى، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، 1996، ص24.

(13)- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003، ص 3974.

(14)- ينظر: نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، جدة، السعودية، ط1، 1991، ص 17-18.

(15)- ينظر: نذير حمدان، المرجع نفسه، ص21.

(16)- ينظر: نذير حمدان، المرجع نفسه، ص22- 30.

(17)- عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني،منشورات دار الأديب، وهران، ط1، 2006، ص37.

(18)- منال أبو الحسن، الصّوتيات، علم وفن، تدريب وممارسة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2015، ص45.

(19)- حسن حمزة جواد، فيلة الحرب في العصر الهيللينستي، الجيش السلوقي أنموذجا، مجلة الباحث، كلية التربية

للعلوم الإنسانية، كربلاء، العراق، ع17- 2015، ص 36.

(20)- رافع عبد الله مالو وعزة عدنان أحمد، سورة الفيل – دراسة صوتية- مجلة كليّة العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العراق، مج7، ع13، ص42.

(21)- ينظر: رافع عبد الله مالو وعزة عدنان أحمد، المرجع نفسه، ص42.

(22)- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984،ص544..

(23)- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج5، تح: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988، ص364.

(24)- الزمخشري، تفسير الكشّاف، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009، ص1222.

(25)- ينظر: رنا أحمد عبد الحليم، جماليات المفارقة في القصص القرآني، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2015، ص154.

(26)- سيسل دي لويس، الصورة الشعرية، تر:أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، دار الرشيد للنشر، العراق، ط1، 1982، ص21.

(27)- ينظر: رافع عبد الله مالو وعزة عدنان أحمد، المرجع السابق، ص42.

(28)- ينظر: محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، (سلسلة: دعوة الحق، السنة 09 -ع99-1990، ص41-42.